محمد علي الناصري

فلسفة
زواج القاسم بن الحسن (ع)
في كربلاء

الطبعـــة الأولى

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م

كلمـــــــة

تفضل علينا صاحب الفضيلة الشيخ سليمان الشيخ محمد علي المدني ، وقدم لنا كلمة فله منا جزيل الشكر والامتنان ·

بسم الله الرحمن الرحيم
وهو ثقتي وبه استعين

التأريخ هو النافذة التي نطل منها على الماضي ، او بعبارة اكثر دقة ، التأريخ هو المنظـار الذي نبصر به الأشياء فكل الأشياء الممكنة لها تأريخ ·

للانسان تأريخ ولكل جزء في هذا الكون تأريخ ، ويبدأ تأريخ الشيء من حين ظهـوره الى حيز الوجود أى في اللحظة التي يحتويه فيها المكان ، ذلك ان الزمن وهو العنصر الفعال في مفهوم التأريخ لايمكن تحديده الا في نطاق المكان لأنه يمثل حركة الجسم في المكان وهو الظرف الحقيقي للتأريخ ·

من اجل هذا تختلف مهمة المؤرخ عن الفيلسوف ، فالأول يقتصر بحثه على احصاء الحوادث والوقائع · أما الثاني فان مهمته تجميع هذه الوقائع المتناثرة في كل موحد حتى يتمكن من استنتاج المبادىء التامة التي تتحكم في حركة هذه الوقائع·

لاعجـب اذا ان يقـع المتحررون من الجبرية الدينية في الجبرية المادية فيقولون بحتمية التأريخ ويجعلون صانع هذه الوقائع عبدا لها مسيرا من قبلها ، ذلك ان المبادىء العامة التي تستنتج من هـذا الشتات المبعثر قد اخذت أسبابـا طبيعية للحصول الى تفسير تلك الوقائع ·

لاشك ان هذه الطريقة من قبيل جعل العربة أمام الحصان وان اقل عيب فيها هو الغاء جانب الارادة الحرة التي تحكمت في ايجاد هذه الوقائع بالاضافة الى غض النظر عن الظروف والعوامل المتعددة والمتداخلة في التسبيب ·

ولا أريد هنا ان اطيـــل في هذا الأمر اذ ان هذه الكلمة ليست مساقة لايجاد نظرية في تفسير التأريخ ، وانما ذكرت ذلك للتدليـــل على ما للتأريخ من اهمية في جميـــع المبادىء والفلسفات ·

لاغرو على هـــذا ان يختلف الباحثون في شئون التأريخ أوفي قضية من قضايا التأريخ وينقسموا تبعا لذلك ، فان ثبوت حدث تأريخي قد يؤدي الى انتصار عقيدة أو حتى دولة على حساب عقيدة أو على حساب دولة ·

لكن هذا الاختلاف والتضارب يكون سائغا اذا حصل في امر يترتب على ثبوته أو نفيه خطر ما · أما الحوادث التي لايترتب على ثبوتها أو على نفيهـــا شيء خطير ، فالخـــلاف او الجدال حول حصولها امر لايستسيغه الذوق ·

ومن هذا القبيل ماحصل بين خطبـــاء المنبر الحسيني في جيلنا الحاضر في واقعة زواج القاسم ابن الحسن عليه ما السلام قبل استشهـــاده في كربلاء ، حيث أخذوا يتجادلون حول هذه القضية اثباتا ونفيا حتى وصلوا الى درجة الهوس في ذلك ، وليت شعري ماذا يترتب من ضرر عقـــائدي على ثبوتها أو على نفيها ؟

ولو ان الخطباء الاجلاء بذلوا جهودهم وكرسوا أفكارهم لشرح القضيـــة الحسينيـــة واهدافهـــا لكان ذلك أعـــود على

المستمعين بالفائدة من سماع هذا التضارب من رجال المنبر .

على ان دور النافين اكثر سماجة من المثبتين ، ذلك ان هؤلاء يتمكنون برواية تأريخية موجودة بالفعل مع عدم الضرر على القضية الحسينية في ثبوتها ، بل ان ثبوت هذه القضية ليكشف عن عظمة شخصية الحسين (ع) اذ لم تشغله كل هذه الواقعة من القيام بعملية التزويج وحتى لايكون بين انصاره (ع) من استشهد أعزبا ، ولا اخال أحدا ممن درس الشريعة ينكر ان أعمال المتزوج أفضل من أعمال الأعزب حتى ورد في الحديث ان ركعة يصليها المتزوج خير من سبعين ركعة يصليها الأعزب .

فصحة الرواية وبطلانها خاصة في مجال التأريخ لايعتمد على اتصال السند وانقطاعه ، بل ينبغي ان يدرس النص التأريخي على ضوء القرائن الداخلية والخارجية لا على ضوء السند وعدمه ، ولو راعينا في شئون التأريخ عامة وتأريخ واقعة الطف خاصة خصوص الأخبار المسندة بسند صحيح لضاعت اكثر معالم الواقعة ، ذلك ان زين العابدين وزينب وغيرهما من اهل البيت عليهم السلام ، انما رووا لنا نتائج الواقعة في الأعم الأغلب ، أما مادار في معسكر ابن سعد أو ماحصل في اثناء القتال انما روي لنا عن طريق علوج اهل الكوفة ، وهم بمقتضى علمي الدراية والرجال ساقطوا الرواية .

ربما يقال ان النافين للقضية انما يريدون من نفيهم ان يتوصلوا الى نفي ماذكره بعض السفلة مثل الزبير بن بكار عن السيدة سكينة عليها السلام ، من انها تزوجت مصعب ابن

الزبير وانها كانت تجلس للشعراء مما هو مستحيل الوقوع من سليلة الرسول والزهراء عليهم السلام . الا ان هذا الهدف لايستدعي انكار قضية زواج القاسم ابن الحسن (ع) وذلك ان الرواتين لم تعينا البنت التي عقد عليها له ، فلسا نهما معا (فعقد له على البنت المسماة له) فما شاع من كونها سكينة انما حصل في الأدب الشعبي لافي لسان الروايتين ، على انه يكفي في دحض ماذكره الزبير ابن بكار الناصبي شهادة الحسين (ع) في حق ابنته سكينة عندما خطبها منه ابن اخيه الحسن بن الحسن حيث قال (ع) : ان سكينة منقطعة الى الله لاتصلح لرجل وقد اخترت لك ابنتي فاطمة فانها اشبه الناس بامي فاطمة .

وهذا الكتاب الراهن من تأليف احد مؤيدي حصول القضية وحدوثها من الخطباء ، وقد ساق فيه دلائله واستنتاجاته وليس لي ان أخوض معه أو عليه وانما ذلك يعود له ولأقرانه من الخطباء وممن يرغب من جمهور المستمعين ، وانما كتبت هذه النبذة في تأييد موضوع الكتاب خوفا من ان يعلق بأذهان الناس وأنفسهم ان الروايات ترد بمجرد كونها مرسلة أو غير مسندة ، فان ذلك لم يكن من ديدن العلماء في المجالات الخطيرة فضلا عن مجال الوقائع التأريخية التي لايترتب عليها نفيا واثباتا خطر على العقيدة ، خاصة مع عدم الرويات المعارضة . واسأل الله سبحانه ان يوفقنا جيمعا لخير الدارين ببركة النبي واهل بيته الميامين .

جدحفص ـ البحرين

٨ ذي القعدة ١٣٩٧ هـ .

سليمان المدني